في مكتب البريد

اشتد ازدحام المكان، فازداد معه الشعور بحرارة الجو في هذا الطقس الصيفي القاسي، تجلس (سها) -التي ترتدي معطفًا أبيض وبنطالًا أسود -، وقد اعتراها الضجر، كان اليوم طويلًا شاقًا، كادت تسمع صراخ معدتها من شدة الجوع، في يدها نظارة شمس وفي الأخرى بطاقة تحمل رقمًا تنتظر سماعه بفارغ صبر ..

_بطاقة رقم ... شباك رقم ....

يتكرر هذا النداء بين الحين والآخر، غير أن رقمها لم يَحِنْ دوره بعد، أخرجت هاتفها لعلها تقتل الوقت بشيء مفيد أو غير مفيد، تصفحت الهاتف بشكل عشوائي، لكن سرعان ما تسلل الملل إلى روحها المنهكة، فأخذت تتفرس الوجوه حولها، يكتظ المكان بالعملاء على اختلاف طبقاتهم، تتعالى الأصوات، فتختلط بضجيج الشارع، لفت انتباهها شاب وسيم يجلس قبالتها يرتدي قميصًا رماديًا وبنطالًا أزرق، تلاقت عيناها بعينيه الخضراوين، فحولت نظرها سريعًا، لكنه ظل ينظر إليها بشغف شديد، ازداد اضطرابها واحمرّت وجنتاها، حاولت أن تتشاغل بالنظر إلى الهاتف تارة والعبث بالحقيبة تارة أخرى؛ لعل الاضطراب يزول قليلًا، ثم اختلست النظر إليه، فإذا به لا زال ينظر إليها، فتزداد دقات قلبها، ويتصبّب العرق كحبات اللؤلؤ من جبينها الأبيض المقوس، وهي تضغط بشدة على كفيها الرقيقتين، وقد غرقت البطاقة في عرق الحر والارتباك..!

كانت نظراته تحمل من معاني الشغف واللهفة ما جعلها تسأل نفسها:

_تُرى هل يعرفني هذا الشاب، لكن هذه أول مرة أرى فيها هذا الوجه الطفولي البريء.

قطع حبل تساؤلاتها صوت امرأة قاربت شمس عمرها على الغروب، بصحبتها طفلة، تتثاءب في كسل وقد غازل النعاس عينيها، ترتدي ثوبًا قديمًا مهترئًا، وقفت المرأة أمامها في ذل وانكسار قائلة:

_ شيء لله يا بنتي..

اكفهرّ وجه (سها) ثم أشاحت بيدها في وجه المرأة التي ولّت ولم تعقّب.

تكرّر التقاء العينين مرات عديدة، وكان قلبها يدقّ بشدة في كل مرة، بادلته النظر بعينيها الناعستين وقد ملك عليها حسّها، فبدأت العيون في حياكة خيوط من الألفة، انتظمت دقات قلبها وكأنه انسجم مع تلك النظرات، حتى نسيت معدتها أمر الطعام، وتبخر ضجر الانتظار..!

لكنها انتبهت -فجأة- لتكتشف غياب الهاتف، بحثت عنه في الحقيبة، لكن لا أثر له.

_ كيف اختفى الهاتف من بين يديّ هكذا دون أن أشعر، ألهذا الحد فقدت التركيز؟!

ذعرت، وقفت في مكانها، بدأت تبحث خلف الكرسي وأسفله، يمينًا ويسارًا، لا أثر هنا للهاتف، سألت عجوزًا يجلس بجوارها لكنه نفى رؤية أي هاتف، ثم نظرت إلى الشاب صاحب العينين الخضراوين، وقد احتضن الحزن قلبها، لقد كان يواصل النظر إليها بعينين متسائلتين، فإذا بها تصرخ وتستغيث في هلع؛ لأن متسولًا قد اختطف حقيبتها، واختفى وسط الزحام، فانتفض

الشاب -ذو العينين الخضراوين- واقفًا، تردد قليلًا قبل أن يندفع نحوها، لتسمع صوته لأول مرة منذ أن جلسا:

_ اهدئي.. اهدئي، سأتولى الأمر.

فأطلق الشاب ساقيه للريح يقتفي أثر ذلك المتشرد، بعد أن ودّعها بنظرة خاطفة حُبلى بمعانٍ عدة.

في ذلك البيت المهجور الذي خاصمه النور، وأقامت فيه القمامة حفلًا جماعيًا، كان المتسول يفرغ محتويات الحقيبة، ويحسب قيمتها بصوت عال، وهو ينظر إلى ذلك الذي دخل وقد تصبب العرق من جبينه، فارتمى على الأرض؛ يلتقط أنفاسه.

_ ساعة يد ذهبية فاخرة، ومحفظة عامرة بالنقود، هذا غير الهاتف، إنه من نوع يعجبك كثيرًا..

كان المتسوّل يوجه حديثه إلى شريكه في هذه الجريمة.. نعم إنّه الشاب المخادع .. صاحب العينين الخضراوين...!